البرمكية ، كان الجنود الاتراك يداهمون قرية البارد ليلة الجمعة · وهي الليلة التي كانت « الطبات » فيها محرمة ، فاقتحموا الزاوية والدراويش في عز « النوبة » ، واقتادوهم جميعا مع كل من وجدوه من الرجال في القرية الى مدينة جنين ، كي يؤدوا ولاء الطاعة الى حافظ باشا علنا ، بعد ان يشهدوا شنق الشيخ لافي امام السراي في ساحة المدينة ·

ويروي الشيخ محمود الحمد عن ابيه ، انه ما كادت تشرق في اليوم التالي ، حتى غصت ساحة المدينة بأهالي القرى المجاورة الذين تدفقوا بنسائهم ورجالهم ، ليشهدوا شنق الشيخ لافي بامر الحاكم التركي ، وانه لم تبق « زاوية » او « طريقة » الا واتى دراويشها بكامل عدتهم واعلامهم · مما جعل الحاكم التركي الذي كان يجلس على منصة عالية مع حافظ باشا ، ان يأمر باحضار المزيد من الجنود والجندرما والصواري كي يمنعوا الدراويش من الوصول الى الشيخ لافي وانقاذه ·

وما كاد الشيخ لافي يطل حاسر الرأس امام الجلاد ، حتى دق جميع الدراويش « النوبة » مرة واحدة وهم يصرخون « حي » ثم راحوا يرددون « لا اله الا الله ·· لا اله الا الله » بينما كان الشيخ لافي يتقدم نحو عود المشنقة، مرفوع الهامة ، بخطى وئيدة على ايقاع طبول وصنوج الذكر بين الاعلام المتمايلة من كل صوب ، ولكنه ما كاد يقف تحت حبل المشنقة ، ويضعه بنفسه حول عنقه ، حتى اطلقت خديجة صرخة علت على جميع اصوات الدراويش ، فاخترقت حاجز الجند الى وسط الساحة ، وقد حلت شعرها الليلي الطويل ، وشقت ثوبها عن صدرها الناهد ، وراحت تتلوى وتميل على ايقاع الطبول والصنوج وهي تشهق من شدة الوجد ، الى ان سقطت على أقدام الشيخ لافي ، فتوقفت جميع الطبول والصنوج والاعلام ، والذكر ، بقدرة قادر ، مرة واحدة وفي رمشة عين ، بينما نهض الحاكم التركي عن كرسيه ، وراح يتقدم من منصة المشنقة وهو يمزق ثوبه عن عنقه والعرق يتصبب منه كالسيل وكأنه يفك من حوله حبل مشنقة يكاد يخنقه ، الى ان وقف امام الشيخ لافي وهو يرتجف كالقصلة ، فاستل سيفه وقطع حبل المشنقة ، ثم استدار نحو خديجة التي انتصبت امامه بكامل جمالها وسحرها ، ولكنه لم يستطع النظر اليها ، فالتفت الى الجلاد يأمره باقتياد الشيخ لافي الى السجن ، وهو لا يقوى على الوقوف ، ولولا ان اسرع الجنود اليه يركبونه حصانه ، لسقط على اقدام خديجة التي سحرته ·

□

ما كاد الشيخ لافي يمكث بضعة اشهر في سجن عكا ، حتى اقتاده الاتراك